عـروض كتب

(اللغة العربية)
لغة عالمية

عرض / جيهان طلعت النجار
مستشار إعلامي سابق بالمكتب الإعلامي بباريس

اسم الكتاب : اللغة العربية، لغة عالمية L'arab, langue du monde

اسم الكاتب : ندى يافي

الناشـــــر : دار هارماتان الفرنسية L'Harmattan

تاريخ الاصدار : ٢٦ / ٣ / ٢٠١٨

عدد الصفحات : ٢٢٨ صفحة

كتاب "اللغة العربية، لغة عالمية" عمل ثنائي اللغة (الفرنسية والعربية) يجمع مداخلات الندوة التي نظمت في ١٣ ديسمبر ٢٠١٦ بمعهد العالم العربي (IMA) في باريس من قبل مديرة قسم اللغة العربية بالمعهد، ندى يافي، وهي من مواليد عام ١٩٥٠ في بيروت، وقد درست الأدب الحديث في باريس ثم عملت كمترجمة مستقلة بالأمم المتحدة قبل أن تصبح المترجمة الرسمية لكل من الرئيسين الفرنسيين فرانسوا ميتران وجاك شيراك، ثم عُينت قنصلاً عاماً لفرنسا في دبي (٢٠٠٧-٢٠١٠) وسفيرة فرنسا في الكويت (٢٠١٠-٢٠١٣)، وهي منذ عام ٢٠١٤ مديرة مركز اللغة العربية والحضارة في معهد العالم العرب وحاليًا عضو في هيئة تحرير صحيفة Orient XXI.

وهذه الندوة التي أعدها معهد العالم العربي منذ ما يقرب من عامين برعاية كل من وزارة التربية الوطنية ووزارة الثقافة والاتصال، هدفت إلي التشديد على أنه وبعيدا

عن ما إعتيد في فرنسا من اعتبار اللغة العربية لغة "مجتمع" ، فإنها تعبيرعن ثقافة التواصل العالمي في نقل المعرفة عبر التاريخ، وكما هو الحال بالنسبة لجميع اللغات الرئيسية، فهي تعد لغة المستقبل للشباب خاصة في فرنسا، التي يوجد بها أقل من ١٤٠٠٠ متعلم في المدارس الثانوية والكليات لا يحبون اللغة العربية. وقد حاول معهد العالم طرح هذه المشكلة من خلال تنظيم هذه الندوة التي جمعت خبراء التعليم والإعلام والعلوم والثقافة كمتخصصين في هذا المجال والتي جمعت الكاتبة مداخلاتهم في هذا الكتاب كما سبق وأشرنا أعلاه.

يشير الكتاب إلى أن إتصالات المتخصصين في الأوساط الأكاديمية والثقافة والتعليم، وكذلك في الأوساط التجارية والإعلام والدبلوماسية والتدريب المهني، تعمل على إلقاء الضوء على التحديات المطروحة أمام هذه اللغة التي يعتبرها الكثيرون لغة غريبة أكثر من إنها لغة أجنبية، في حين أنها أصبحت لغة إقليمية حيث يتحدث بها عدد كبير من العرب الفرنسيين (أو إذا جاز التعبير فرنسيين من أصول عربية). وأن المدارس الفرنسية قد تكيفت مع التغيير الديموغرافي من خلال إدخال شخصيات بأسماء عربية مثل "علي" أو "فاطمة" في الكتب المدرسية، في الوقت الذي تواصل إهمالها للغتهم الأصلية التي لا تزال لغة دخيلة أو غريبة رغم أنها محلية.

والغرض من إعداد هذا الكتاب هو تخليص اللغة العربية من هذا الحرمان الوطني الذي يحيط بها ليس فقط لأنها تعد لغة غريبة ولكن لوجود شبهة أنها لغة "إرهابية"، فهي تُستثنى من مجموعة القيم ويتم تهميشها في الوقت الذي يتم فيه إنكار المكون العربي للثقافة الفرنسية سواء القديمة أو المعاصرة. ولهذا فإن بعض المثقفين يعملوا على طرح حلول لهذا التخبط في الهوية من خلال التذكير بأثر جيد لبعض حقائق الأمس واليوم وذلك بإعادة اللغة العربية ومنحها مكانتها الصحيحة أو تطبيعها، ولهذا تحاول ندى يافي في كتابها "اللغة العربية لغة عالمية" التدليل على أهمية لغة الضاد ومكانتها في عصر العولمة وحاجة العالم لها في مخاطبة أهلها الذين يشغلون حيزاً جغرافياً بارزاً. فاللغة العربية هي اللغة الخامسة في العالم من حيث عدد المتحدثين بها، كما أنها إحدى اللغات الست الرسمية في الأمم المتحدة، وتنتشر في ٦٠ دولة

وكانت لغة العلوم والفكر في العالم في العصور الوسطى.

وترى الكاتبة أن اللغة العربية تتعدى حدود منطقة أو دين، ففي الكنائس الشرقية تقام القداسات بالعربية في الوقت الذي تلقى به الخطب الفرنسية في المساجد. هناك اثنين وعشرين عضواً في جامعة الدول العربية تعد اللغة العربية لغتهم الرسمية، كما تستخدم بشكل شائع في العديد من البلدان الأخرى بما في ذلك إسرائيل. وإذا استمرت المنطقة العربية في النمو السكاني في النصف الأول من القرن الحادي والعشرين، فمن المتوقع أن تتفوق على المناطق الناطقة باللغة البرتغالية والإسبانية في عام ٢٠٦٠ مع وجود أكثر من ٧٠٠ مليون شخص من خلفيات متنوعة .

تؤكد الكاتبة أن اللغة العربية بالرغم من أنها لغة ثقافة عالمية إلا أنها واحدة من الأقل انتشاراً في مجال التعليم وفي القنوات الإعلامية وقنوات الاقمار الصناعية وبقيت حتى الآن غير معترف بمستواها وإمكانياتها عالمياً. هذا الكتاب فريد ومتعدد الجوانب فضلاً عن أنه يتعدى السؤال اللغوي البسيط ويمس التاريخ والسياسة حيث يشير إلى أن أعمال أرسطو وغيرها من كتب التراث القديم قد انتشرت بفضل حركة الترجمة الواسعة في زمن العباسيين، كما أن علم "الجبر" استمد اسمه من العالم والمخترع العربي القدير "الخوارزمي".

وتجدر الإشارة إلي أن وزير التربية الفرنسي الحالي ميشال بلانكير قد أعلن دعمه الاقتراح الذي قدّمه معهد مونتاين Montaigne للدراسات والبحوث بتعليم اللغة العربية في المدارس بهدف "محاربة التطرّف الإسلامي" حيث أن الجدال ما زال قائماً في بلاد النور منذ ما قبل الانتخابات الفرنسية الأخيرة خاصة بعد الاعتداءات المتكررة التي نفّذتها الجماعات المتطرفة في فرنسا في السنوات الأخيرة، حول اعتبار اللغة العربية لغة إرهاب ولغة طائفية، خاصة من جانب حزب اليمين الفرنسي، ويأتي هذا الكتاب كأفضل رد على مهاجمي اللغة العربية حيث ترى الكاتبة أن اللغة هي "وطن مشترك" إذ تقول : "أنا وطني هو اللغة العربية من جملة الأوطان التي أشعر بانتمائي إليها".

يطرح الكتاب فكرة أن اللغة العربية لطالما كانت لغة انفتاح وعلم وطب وفلك

وليست فقط لغة أدبية، فـ "أدباء النهضة الفرنسية أثنوا على العربية لأنها تحفّز العقل والانفتاح"، مذكّرة من يجهلون أهمية لغة الضاد وجمالها وموسيقاها الخاصة بأن فرنسا تعرفها منذ قرون وأنشأ لها ملكها هنري الثالث في العام ١٥٨٧ منبراً خاصاً في أعرق مؤسسات الدولة "الكوليج دو فرانس" Collège de France. ومن هنا اعتبرت أن اللغة العربية ليست ملك العرب وحدهم وإنما هي ملك من يتحدثون بها ويريدون التواصل بها. ولا ننسى أن فرنسا كانت أول بلد، وعلى الأرجح البلد الغربي الوحيد في العالم الذي لديه مؤسسة متخصصة بالثقافة العربية وهي معهد العالم العربي في باريس الذي ساهم في تقريب الوجهات وبابه مفتوح منذ سنوات طوال للتعريف بثقافات العرب المتنوعة. وكان رئيس المعهد الوزير السابق جاك لانج ردّ بنفسه على اتهام العربية بالطائفية، مدافعاً عنها قائلاً : "الأحمق وحده يربط اللغة العربية بالإرهاب" .

وتدعم الكاتبة من خلال عملها هذا جهود وزير التعليم الحالي جون ميشيل بلانكير لوضع اللغة العربية في المكان اللائق بها في منظومة التعليم الفرنسية، خاصة وأنها قد أشارت إلي أن بلاداً كبيرة غير ناطقة بالعربية بدأت تدرك أهمية هذه اللغة وتعطي لها الأولوية في مؤسساتها الأكاديمية ووسائلها الإعلامية مثل الصين وروسيا وإنجلترا والولايات المتحدة وتركيا وغيرها. في الوقت نفسه لم تنسَ الكاتبة أن تحضّ على عدم تسييس اللغة وربطها بدين معيّن ولا بجامعات متطرفة تشوّه الإسلام وتشوّه التراث الثقافي العربي برمّته. وبحسب الكاتبة فإن اللغة العربية التي يغنيها ويتغنى بها كبار المطربين مثل أم كلثوم وفيروز، لا تزال حيّة في الثقافة الشعبية وفي أغاني الشباب (بالفصحى وبالعامية) وعلى مواقع التواصل الاجتماعي وفي وسائل الإعلام الجماهيرية، مما يعني أنها لغة حياة وتسامح وتعدّدية كما أنها تعد أداة تواصل مهنية تفتح آفاقاً عدة. والأهم أنها لغة شعر وحب، حيث تشير الكاتبة إلي الذين يهاجمون العربية ويتّهمونها بالبغض والقتل والإرهاب أن لكلمة "حب" وحدها مئة مرادف بالعربية .